وأخيرا اختارت

بقية المنشور على ص ١٦

يا سكينة أن يرانى على هـذه الحال من السقم ولذا جئت إلى هنـا من طريق غير طريق بيته »

فأجابت سكينة « لقد رأيت فى وجهه الشوق إليك والإعجاب بك و ... »

فقاطعتها مأمونة قائلة « كفى ... كفى يا سكينة ... ماذا يريد منى ؟ أنا زوجة وفى بطنى حمل .. إنى خائفة يا سكينة .. أنسيت ما قالت حميـدة ذات يوم : إنهم يحسنون الاصطياد ثم يتركون فرائسهم نهبا للمـار والجوع. إنى كلمـا تذكرت ذلك رفت عينى اليسرى ولقد رأيت فى وجهه ما أخافنى ليلة كنا تحت النخلة »

فقالت سكينة « أمن أجل ذلك إذن مضيت ليلتئذ إلى جانبي ذاهلة صامتة طول الطريق ؟ لا تخافى يا مأمونة فما عرفت عنه السوء قط، أنت لا تعرفينه وهو والله يحبك »

وسكتت سكينة لحظة ثم قالت فى تردد « لست مدينة لى بمال يا مأمونة كما افتريت الكذب عليك وكله من خيره وقد أكد على ألا أخبرك بشئ .. وهو سيدى وطول عمرنا أنا وأهلى فى خيره ونعمته »

فنظرت إليها مأمونة مصفارة دهشة وقالت « أمن أجل ماله إذن أحرص عليه؟ فلتهنأى أنت بماله . . ولتحرصى عليه كما تحرصين . أتراه يشترينى ؟ إنه إذن لا ينظر إلى إلا كما ينظر إلى خادمة ... كفى ... كفى يا سكينة أنسيت ما قالت حميدة ؟ إنى زوجة وسأصبح أما يا سكينة »

ثم أحست بما فى كلامها من قسوة على سكينة فـألقتها الصفح ودمعت عيناها فمسحت دموعهـا بطرف ردائهـا ، وأطرقت فى حزن وصمت

فقالت : سكينة « إنك تسرفين فى الحزن بغير داع يا مأمونة وأنت مخطئة ... خادمة ؟ إنه ينظر إليك نظرة محب ... هل نسيت من هو ؟ وهل نسيت يوم أن أعانك بنفسه على حمل جرتك ؟ إنه لن يفعلها قط مع غيرك ... ولقد ملأنى الدهشة يومها والله ... ولكنه الحب » ... وسرى عن مأمونة فضحكت وبدا الاطمئنان فى وجهها ... ومنذ العصر أخذت تختلس النظرات إلى الشرق على الرغم من مراقبة سكينة إياها علها ترى حسينا حين يعود . . .

وأقبل حسين على مهره وقد غربت الشمس فوجدها وحدها تحت الصفصافة ، فقد انتقل الرجال إلى حقل آخر ، ووقف به مهره تحت الشجرة وهو متجه بقلبه وبصره إلى مأمونة وقالت سكينة ضاحكة « الطريق

كله منور ياسيدى » فشكرها ضاحكا وقال: « الدنيا كلها منورة بمأمونة ولقد كانت موحشة مظلمة لغيابها »

فرفعت إليه مأمونة عينيها الدعجاوين الجميلتين وقد شاعت فى وجهها الحمرة وقالت فى جرأة عجيبة: «الدنيا نور بوجودك ياسيدى حسين أتشغل نفسك بى إلى هذا الحد؟ ثم ابتسمت فى دلال وخبث قائلة : « وماذا يعجبك فى فلاحة مثلى وأنت من يرى فى البندر ... »

فقاطعها قائلا : «مأمونة.. أنت تجهلين نفسك ولا تدرين ماوهبك الله من جمال ... فلاحة ؟ كلنا من آدم وحواء» ورأى مابعثته كلماته من بهجة وخيلاء فى وجهها وجسمها فحياها وسلفتها تحية المساء وانصرف

وبلغت مأمونة وسلفتها دارهما ، فرأتا فى وجه حماتهما الغضب لتأخرهما ورأت سكينة أن سلفتها لم تعد تبالى بهذا الغضب وأبصرتها وهى تصعد إلى السطح مرحة خفيفة كما كانت قبل أن يمسها السقم . . .

* * *

عاد إليها مرحها وفتنتها ، وعادت تتبرج وتسير بجرتها فى مقدمة الصبايا . وعاد يرقب حسين طلعتها كل صباح ، فإذا أبصرته أودت وتمايلت تحت جرتها وعابثت صاحباتها ضاحكة لاتبالى بنظراتهن بعضهن إلى بعض ولا بتهامسهن ، حتى حميدة لم تعد مأمونة تحفل بغيرتها وحقدها ونذرها . . .

وعظمت دهشة حسين ذات يوم واشتد ابتهاجه حين رأى عقده فى جيدها وحين رآها تضحك مزهوة لما يصر به . وأوحى له ذلك أن يهدى إليها هدية أخرى . فليشترلها خاتما وليهد كذلك إلى سكينة هدية

وتنزل مأمونة ذات صباح من فوق السطح مهمومة تفكر ، فتسألها سكينة عما بها ، فتضحك قائلة ، إنها رأت فى نومها أنها ولدت غلاما وأنه مات ، وأنها فى دار أبيها قد طردها زوجها وغضب عليها والدها ... وتضحك سكينة قائلة « سيعيش ابنك طويلا وسيضمك عطية فى عينيه »

فتنبهت مأمونة قائلة : « أنا خائفة ياسكينة . نعم خائفة ... ليتنى لم أعرفه ولكنه طيب وأراه يعزنى وما رأيت قط مثل ما أرى فى وجهه من حنان »

فقالت سكينة فى اهتمام « إن أحسن صبية فى القرية تتمنى أن تنال من حبه واهتمامه بعض مانتالين . وإنه لن يتساك أبدا . وإذا شئت جعلك فوق رؤوس الصبايا كلهن ومتعك بما لاتحلمين به »

فأطرقت مأمونة قليلا ويدها الجميلة السمراء فوق خدها الوردى الأسيل ثم قالت : « أنا حائرة ياسكينة ... آه لو علمت

ما أنا فيه ... إنه يحبنى حقا ولن أخفى عنك أنى أكاد أطير فرحا عندرؤيته . وإن اللاتى يتهامسن عنى إنما تملؤهن الغيرة ولم أعد أبالى مايقلن ... سكينة : إنى مع ذلك أفكر طويلا فى التخلص منه ولكن ... ولكن قلبى لايطاوعنى وكثيرا مابكيت» فقالت سكينة ضاحكة عابثة « يالك من بلهاء .. ليت لى ربع مالك من حظ ! ومن نالت بامأمونة مثل مانلت وما سوف تنالين ؟ »

فأجابتها مأمونة باسمة والدمع يطفئ ألق عينيها السوداوين « أيتنا البلهاء ياسكينة ؟ أنا زوجة وسأغدو أما . وستصبح لى فى الدار منزلة وسيفرح عطية بابنه وسيقبل عليه وعلى كلما عاد من حقله وستحبنى حماتى . . وهل نسيت ياسكينة أن سيدى حسين سوف يغدو زوجا ووالدا ؟ هل يفكر فى يوم ذاك؟» ثم تنهدت مأمونة تنهدة عميقة ومسحت دموعها بطرحتها ... وعادت تقول فى صوت مختنق « ليتنى ما طاوعت قلبى . . لقد نظر إلى عطية أمس نظرة انكسار ومسكنة كأنه يعلم بكل شئ ورأيت فى نومى أنى مطلقة وأن ابنى مات و ... »

فقاطعتها سكينة قائلة « هذه أوهام الحمل ، هذه أوهام الحمل ... قومى ... هاتى جرتك فقد ارتفعت الشمس . . وهو هناك يتحرق شوقا لطلعتك »

وتخرجان بجرتيهما فتقع عينا مأمونة أول ماتقعان على حميدة فتمشى صفرة فى وجهها وترف عينها اليسرى .. ثم تقرأ فى عينى حسين أنه يتحرق شوقا للقائها على حدة، فتفضى بذلك إلى سكينة وتحس سكينة فى كلامها الرغبة والشوق ...

* * *

سكن من حوله المساء ، وأخذت تنسكب على الجدر وعلى الأرض أشعة القمر من خلال النخيل والسنط ، وأخذت تنسم نسائم المساء رخية تنعش النفوس بعد قيظ النهار . وليس مايقطع سكون الليل الساجى إلا لحن كروان طروب ينسكب مع أشعة القمر من أعلى السموات وفيه النشوة والمرح والاستغراق فى صفاء الكون ..

وكان حسين يمد سمعه وبصره فى ضوء القمر إلى كل قادم ، وقد أخذ يساوره القلق ، وكان يخالط شعوره بالغبطة خاطر مبهم يكاد يفسد عليه سعادته ، فهو يقول فى نفسه : إذا كان هذا مبلغ سعادتى بحب مأمونة فكيف تكون سعادتى بحب أبتنى به عشى وتقر به عينى ؟ ... وليت شعرى حتام يسحرنى ما هو كائن عما أعنى أن يكون؟ .. ولكن لم لا أمرح كما يمرح ذلك الكروان الذى يطلق ألحانه مرحة فتية ولا يفكر فى غد ولا فى حاضر ؟

ها هى ذى مأمونة لا ريب ! كلا إنها سكينة . ومرت سكينة وعلى رأسها مقطف العشاء فضحكت ضحكة فهمها ، وكان مهره مسرجاً فى مدخل الحديقة فسرعان ما ركبه وسار فى أثرها ، وكان لا يفتأ يلتفت خلفه وينظر أمامه حتى أدركها عند الصفصافة .. فتركته هناك وانطلقت صوب حقلهم البعيد

ونظر فإذا مأمونة خلفه ، فترجل فى لمحة وشد مهره إلى الشجرة ، ثم أقبل نحوها قائلا « مأمونة ؟ لشد ما تشوقت إليك » ولما دنا منها كدره أن لم يجد عقده فى جيدها

وتعاقب على وجهها الزهو والرضا والخوف وهى تنظر إليه . ولمح فى بدنها رعشة ، وأحس فى أنفاسها تقطعا ، ورأى صدرها يعلو ويهبط ، وسمع دقات قلبها . ومد ساعده فطوى خصرها الدقيق فى رفق ، والاضطراب ملء جسمه ، فأرادت أن تتراجع ولكنه جذبها إليه فاختلجت على شفتيها ابتسامة عذبة ولمح فى عينيها نشوة . ثم التقت شفتاهما ... ولما طال عناقهما تملصت منه ودفعته فى رفق بيديها وأفلتت

ووقفت أمامه تنتفض ، ولكنه يرى الفرح فى وجهها الجميل ، والرضا فى عينيها اللتين طالما هفا قلبه فى إثر نظرة منهما ، فمد ساعده ثانية فطوقها ، فاستسلمت ، ولم يدر فى نشوته وحلمه كم مضى من وقت وهى بين ذراعيه وفمه على شفتيها حتى أفاقا على وقع حوافر المهر يضرب بها الأرض ، فأفلتت مذعورة ، وهم بأن يدخل يده فى جيبه ليخرج الخاتم الذى اشتراه لها ولكنها وضعت فى يده خرقة مطوية على شئ وانطلقت كأنها تعدو ، ونظر فى الخرقة فإذا به يرى عقده الذى أهداه إليها !

محمود الخفيف

من وراء المنظار

فصول انتقادية فكهة من حياتنا الاجتماعية

للأستاذ محمود الخفيف

كتاب فى ٢٤٠ صفحة على ورق أبيض جميل

ثمنه ٢٠ قرشا — عدا أجرة البريد

يطلب من إدارة الرواية ومن المكتبات الشهيرة